

الدرس (4) : مراحل الثّورة الإسلاميّة وخطواتها

مفهوم الثّورة الإسلاميّة
في فكر الإمام الخامنئي

بيان "العهد المشترك" وبيان
"الخطوة الثانية للثّورة الإسلاميّة"

الدرس (4): مراحل الثّورة الإسلاميّة وخطواتها.
الأستاذ: سماحة السيد كميل باقر

aiwelayah.net

مفهوم الثّورة الإسلاميّة في فكر الإمام الخامنئي

(دورة التعرّف على المنظومة الفكرية لسماحة الإمام الخامنئي)

الدرس (4) : مراحل الثّورة الإسلاميّة وخطواتها

الأستاذ: سماحة السيد كميل باقر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله.

نحن معكم في دورة التعرف على المنظومة الفكرية لساحة الإمام الخامنئي دام ظلّه، ومستمرّون معكم في دراسة مفهوم الثورة الإسلامية لدى قائد الثورة الإسلامية بالاستفادة من بيان العهد المشترك وبيان الخطوة الثانية وخطابات أخرى لساحة القائد. في الجلسة الماضية بيّنا أهمّ أهداف الثورة، واختتمنا الحلقة بالسؤال عن مدى تحقق تلك الأهداف بعد مرور أكثر من أربعين سنة على انتصار الثورة الإسلامية. في هذه الجلسة وللوصول إلى جواب صحيح لهذا السؤال، سنسلط الضوء على مراحل تحقيق أهداف الثورة من منظار الإمام الخامنئي.

من الأخطاء الشائعة في التعاطي مع الثورة الإسلامية وتحليلها أن يتصور البعض أنّ الثورة هي حادثة تاريخية عابرة بدأت عام 1963 عندما نهض الإمام الخميني في مدينة قم ضدّ نظام الشاه، وانتهت عام 1979 عند عودة الإمام رضوان الله عليه إلى إيران بعد سنوات من النفي في العراق وفرنسا. هذا التصوّر الخاطئ عن مفهوم الثورة الإسلامية مغاير تماماً لآراء الإمام الخميني ورؤية الإمام الخامنئي، وقد يؤدّي إلى ارتكاب أخطاء في تحليل أداء الثورة ومدى فاعليّتها وجدواها.

نحن في هذه السلسلة من الدروس عندما نتحدّث عن الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي لا نقصد فقط ذلك الحدث التاريخي الذي وقع وانتهى. نعم هناك حراك ثوري ونضالي قام به الشعب الإيراني لمدة سنوات وتكلل بالانتصار عام 1979، ويُسَمّى الثورة الإسلامية. لكن هناك مشروع تغيّري نهضوي من عدة مراحل، جاء به الإمام الخميني وهو مشروع الثورة الإسلامية بمعناه الأشمل وانتصار الشعب الإيراني عام 1979 ما هو إلا المرحلة الأولى لهذا الملم روع. طبعاً قد يتمّ استخدام مصطلح الثورة الإسلامية والمقصد هو مرحلة النضال الشعبي الذي أطاح بنظام الشاه، لكنّ الأصح إطلاق هذا المصطلح على كامل مراحل المشروع التغيّري الذي بدأ منذ ذلك الحين. يعني نستطيع القول إنّ «الثورة الإسلامية» مصطلح قد يُطَلَق على معنى خاصّ وهو المرحلة الأولى من مراحل الثورة فقط، وقد يُطَلَق على معنى أعمّ منها ومن بقية المراحل التي سنشرحها.

عندما نراجع كلمات ساحة الإمام الخامنئي نجد أنّّه دائماً يؤكّد على استمرارية الثورة، وضرورة الحفاظ على الهوية الثورية في البلاد وفي كافة المؤسسات الدستورية، ويدعو الشرائح المختلفة وخصوصاً الشباب إلى تعزيز الروح الثورية في أنفسهم وفي المجتمع وتقوية العمل الثوري أكثر وأكثر.

واضح جداً أنه لو كانت الثورة في رأي ساحة القائد عبارةً عن تلك الحففة الزمنية المنتهية بعودة الإمام الخميني إلى إيران وحسب، لم يكن لأيٍّ من هذه التأكيدات والتوصيات أيُّ داعٍ، ولم يبقَ لها أيُّ معنىً أصلاً.

إذاً، الثورة الإسلامية في فكر الإمام الخامنئي عبارة عن موجود حيٍّ ومسار مستمرٍّ وعملية متواصلة ومشروع ذي مراحل، وليست حادثةً تاريخيةً أو مشروعاً لحظوياً أو حدثاً عابراً كما يزعم البعض. وبتعبير ساحتها «إنَّ تحقيق الآمال الإسلامية عملٌ طويل الأمد ويجب أن يتمَّ بشكل تدريجيّ». لأنَّ الثورة في الحقيقة هي التحوُّل البنوي العظيم الذي يشمل جميع أبعاد الحياة، ومثل هذا التحوُّل لا يمكن أن يحدث في يوم وليلة.

حسناً، بعد هذه المقدمة الضرورية وبناءً على الخارطة العامة التي رسمها لنا ساحة الإمام الخامنئي، نفهم أنَّ مشروع الثورة الإسلامية له خمسة مراحل أساسية:

المرحلة الأولى مرحلة النهضة الإسلامية أو ما قد يعبُّ عنها بالثورة الإسلامية بالمعنى الأخصَّ الذي ذكرناه، والمرحلة الثانية هي إيجاد النظام الإسلامي، والمرحلة الثالثة مرحلة تشكيل الدولة الإسلامية، والمرحلة الرابعة تأسيس المجتمع الإسلامي أو البلد الإسلامي، والمرحلة الخامسة والأخيرة هي بناء الحضارة الإسلامية أو تشكيل الأمة الإسلامية.

أمَّا المرحلة الأولى وهي النهضة الإسلامية، المراد منها كما ذكرنا هو التحرك الثوري والنهضة الثورية التي تُسقط النظام الطاغوتي والرجعي والتابع والفاقد والعميل، وتمهِّد الأرضية لقيام نظام جديد بديل. هذه الانطلاقة والحلقة الأولى من سلسلة حلقات الثورة. يجب التخلُّص أوّلاً من أوساخ الطاغوت. أن ينهض شعبٌ بالتوكل على الله في وجه حكومة الطاغوت، وأن يقف خلف قائده الحكيم والإلهي، وأن يتحمَّل كلَّ الصعوبات والمشقَّات في سبيل هذه المواجهة، إلى أن ينجح في إسقاط نظام الطاغوت، هذا ليس بشيء قليل. هذا ما شاهدناه في نهضة الشعب الإيراني الذي استطاع بصره وبصيرته، وبإيمانه الراسخ وتوكله على الله، ووقوفه خلف الإمام الخميني العظيم، وتحمُّله لكافة أنواع الضغط والتعذيب، استطاع أن يسطِّر النصر بإرادته ويسقط نظام حكم دكتاتوري أسود دام لمدة 2500 عاماً. هذا ليس بأمر هيِّن، وقد لا تتجرَّأ بعض الشعوب أن تقوم به. هذه المرحلة الأولى من الثورة، لكن رغم ذلك، ومقارنة بالمرحلة المتبقية من الثورة تُعتبر المرحلة الأسهل! بعد إسقاط النظام الطاغوتي يصل الدور إلى المرحلة الثانية وهي إيجاد نظام حكم جديد مكان النظام السابق. هذا القالب والإطار الجديد للحكم يجب أن تتوفر فيه شروط ومواصفات متعدِّدة، وأهمُّ هذه الشروط هي أن يكون كما يريد الإسلام. هنا تكمن

الخطورة! قد نرى أن بعض الشعوب المسلمة تقوم بالنهضة وبدوافع إسلامية وتنجح في إسقاط الأنظمة الدكتاتورية، لكن للأسف تفشل في إقامة نظام حكم مبني على أساس الإسلام المحمدي الأصيل مكان ذلك النظام السابق، فتخرج من حفرة دكتاتوريّةٍ وتقع في حفرة دكتاتوريّةٍ جديدٍ، أو حتى قد تسقط في بئر الديمقراطية الغربية والتي هي لا تقلّ طاغوتيةً عن الدكتاتوريات من حيث المعايير التوحيدية.

النظام الإسلامي هو الهندسة العامة الإسلامية لهيكلية البلاد وتركيبه السلطات والمؤسسات والحقوق والمسؤوليات المتبادلة بين الشعب والدولة المتمثلة في الدستور. النظام الإسلامي هو ذلك النظام الذي يقوم على ركيزتين أساسيتين؛ الأوّل هو الشعب، والثاني هو الدين. البعد الأوّل في هذا النظام هو إيكال شؤون البلاد للشعب عن طريق الانتخابات وغيرها، والثاني هو أن تكون هذه العملية ضمن إطار الشريعة الإسلامية. هذان الجانبان يمكن اعتبارهما بُعدين لحقيقة واحدة، وهي نظام «الجمهورية الإسلامية» أو «سيادة الشعب الدينية».

أمّا الحلقة أو المرحلة الثالثة وهي أصعب من قبلها، عبارة عن تشكيل الدولة الإسلامية، وهو يعني إيجاد تشكيلات ومؤسسات إدارية إسلامية للبلاد على مستوى جميع السلطات والمؤسسات. إذا كان النظام الإسلامي هو الإطار والقالب المناسب لتحقيق أهداف الثورة فالدولة الإسلامية عبارة عن المضمون والمحتوى المنسجم مع هذا القالب. طبعاً، القالب المناسب وجوده شرطٌ لازمٌ وضروريٌ ولكنّه غير كافٍ. لا يكفي مجرد وضع هيكلية إسلامية لإدارة البلاد ورسم خريطة جميلة ومدّخدة من الفقه الإسلامي. هذه الخريطة تحتاج إلى التنفيذ العملي، وتلك الهيكلية بحاجة إلى التطبيق الفعلي حتى تُثبت فاعليتها وتقوم بحلّ المشاكل فعلاً، وإلا سوف تبقى حبراً على ورقٍ وقالباً من دون قلب. يذكر ساحة الإمام الخامنئي في إحدى محاضراته سبعة معايير أو مؤشّرات أساسية للدولة الإسلامية. أوّلاً: السلامة الاعتقادية والأخلاقية والعملية التي تنشأ من الاعتقاد الصّحيح والنظر الصائب إلى حقائق المجتمع، خصوصاً لدى مسؤولي الدّرجة الأولى في البلاد. ثانياً: قضية خدمة النّاس ووجود رويّة خدمة النّاس لدى المسؤولين. ثالثاً: قضية العدالة. وقد شرحنا مفهوم العدالة في الجلسة السابقة.

رابعاً: النزاهة الاقتصادية ومحاربة الفساد. خامساً: قضية الالتزام بالقانون. إذ إنّ الدولة الإسلامية دولة سيادة القانون. سادساً: الحكمة والتعقّل في العمل. وسابعاً: الاعتماد على الإمكانيات الذاتية في البلد، وأن لا يكون نظرنا إلى الخارج.

طبعاً هناك معايير ومؤشرات أخرى مهمة يجب أن تتوفر في الدولة الإسلامية، وللإطلاع أكثر حول هذا الموضوع من منظور الإمام الخامنئي يمكنكم مراجعة كتاب «الوصايا العلوية للمديرين والعاملين» من إصدارات «دار الثورة الإسلامية».

أمّا المرحلة الرابعة من مراحل تحقيق الأهداف الإسلامية مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي. هذه المرحلة متوقّفة تماماً على المرحلة السابقة. طالما لا توجد دولة إسلامية لا يمكن إيجاد مجتمع إسلامي، وذلك بسبب الأثر الكبير الذي تتركه الدولة في المجتمع. ولذلك يقول ساحة القائد: «بعد أن تشكلت الدولة الإسلامية ستكون مسؤوليّتها والتزامها تحقيق المجتمع الإسلامي». المجتمع الإسلامي هو نفس المجتمع المنشود الذي كان الأنبياء يسعون لإيجاده، وكانوا يعتبرونه مصنوعاً لصناعة الإنسان المؤمن الموحّد بدلاً عن التربية الفردية، كما عبّ عنه القائد في مبحث النبوة من كتاب «مشروع الفكر الإسلامي في القرآن». المجتمع الإسلامي هو المجتمع التوحيديّ العادل، والمجتمع الحرّ المستقلّ، وهو المجتمع الذي يتمتّع بالأمن والعزّة والتقدّم والرفاه، وهو المجتمع الخالي من الفقر والجوع، وبالمختصر، هو المجتمع الذي يسود فيه نمط الحياة الإسلامي والأسلوب الإسلامي للعيش الكريم، وسوف تتحقّق فيه الآمال الإسلامية الكبرى.

وأما المرحلة الخامسة والحلقة الأخيرة من مراحل وحلقات مشروع الثورة الإسلامية هي بناء الحضارة الإسلامية. هذا هو الأفق الأعلى الذي نتطلّع إليه ونبذل كلّ الجهد للوصول إليه. الحضارة الإسلامية تؤكّد لنا أنّ الثورة الإسلامية ليست مشروعاً إيرانياً، وإنّما هي ثورة عالمية، ولذلك ترتبط الحضارة الإسلامية بمفهوم «تصدير الثورة» وهو مفهوم يثير جدلاً واسعاً حوله، ونحن إن شاء الله سنوضّحه في الجلسات القادمة. لكن بالمختصر، ستتشكّل الحضارة الإسلامية

عندما تتّسع رُفعة المجتمع الإسلامي، فلذلك هي أيضاً متوقّفة على المراحل السابقة لها. يقول ساحة القائد: «إنّ هدف الثورة الإسلاميّة هو الحضارة الإسلاميّة الحديثة، لذلك لا ينبغي أن نهبط مستواها بحيث نجعلها ظاهرة سياسيّة. الثورة الإسلاميّة حاولت تغيير العيش والحياة.

نحن لم نقرّر فقط تشكيل مجتمعٍ ثوريّ، بل أردنا تكوين ظاهرة تجتاح العالم، وطبعاً شرط ذلك هو تشكيل الدولة الإسلاميّة والمجتمع الإسلاميّ». «أيضاً من المهمّ جدّاً أن نعرف أنّ مرحلة بناء الحضارة الإسلامية ستكون مهمّة لظهور الإمام الحجة أرواحنا فداه إن شاء الله.

لذلك، الإمام الخامنئي يخاطب الشباب في بيان الخطوة الثانية ويقول: «إنّ السنوات والعقود المقبلة

هي عقودكم، وأنتم من يجب أن تحموا ثورتكم بخبراتكم واندفاعكم، وتُقرُّ بوجهاً مهماً أمكن من هدفها الكبير ألا وهو إيجاد الحضارة الإسلاميَّة الحديثة، والاستعداد لبزوغ شمس الوليِّ الأعظم أرواحنا فداه.

»

حسنًا، تعرّفنا على المراحل الخمسة في مشروع الثورة الإسلامية في تحقيق أهدافها، لكنّ السؤال: نحن الآن نعيش في أيّ مرحلة من مراحل الثورة حتى نستطيع أن نحدّد دورنا وتكليفنا تجاه هذا المشروع الإلهي الكبير بالدقّة؟ يؤكّد ساحة الإمام الخامنئي أنّنا لا زلنا في المرحلة الثالثة يعني تشكيل الدولة الإسلاميّة.

يصرّح ساحة القائد: «ليس لدينا مجتمع إسلامي، وليست لدينا دولة إسلامية. من بين تلك المراحل المتعددة التي طرحناها لا نزال في مرحلة الدولة الإسلاميّة، ومن بعد الدولة الإسلاميّة يأتي الدور للمجتمع الإسلامي. استطعنا إيجاد حركة ثورية، ثم استطعنا على أساسها إيجاد نظام إسلامي.

حسنًا، حصل لحد الآن توفيق ونجاح وهو على جانب كبير من الأهمية، ولكن هناك بعد ذلك إيجاد دولة إسلامية، ولا نزال في هذه القضية على مسافة طويلة تفصلنا عن المقصد والهدف المنشود. طبعًا هذا لا يعني أن يشعر أحد باليأس، أبدأً، فنحن على الرغم من كل المعارضة والعراقيل نتقدّم إلى الأمام باستمرار. وبعد أن تتحقق الدولة الإسلاميّة سيأتي دور المجتمع الإسلامي. إذن، ينبغي الكيفاح أيّها الأعضاء.»

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المجاهدين في طريق الثورة الإسلاميّة العالميّة، ومن الممهّدين لظهور الوليِّ الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف. والسلام عليكم ورحمة الله.